

العدو ومصدر الخطر... ما هو الحل، ثم ماذا بعد هذا؟

ولذا وقبل فوات الأوان فإنني أرى الآتي: أولاً: أدعو المملكة العربية السعودية لأخذ زمام المبادرة والدعوة إلى قمة عاجلة لمعالجة ومراجعة ولندارس هذا الوضع الذي وصلنا إليه لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، أخذين في الاعتبار مطالب الجماهير وأحلام الشباب وكرامة الأمة وكبرياءها، والأخذ بالعلم الذي خاصمنه طويلاً كعرب «فنحن نريد من هذه القمة إنقاذ ما يمكن إنقاذه».

ثانياً: الدعوة إلى قمة أخرى سريعة وموازية تجمع تركيا وإيران ومصر على أرض المملكة لإطفاء النار المشتعلة في سوريا، التي قد تطاول لبنان والأردن. ولن يخرج منها أحد منتصراً، بل ستتحول إلى دولة فاشلة تحكمها الفوضى، وتصبح الجزيرة العربية محاصرة بدول تحكمها الفوضى من اليمن للعراق إلى سوريا، ولها حدود لا حدود لها، وكلنا يعرف حساسية دول الخليج والنفط. وكيف سيصبح الصراع وأدواته ومطامع ومصالح الدول الكبرى، وعندما أتحدث عن إيران وتركيا، فهما جناح السنة والشيعية وبطلا الصراع الوهمي بين المسلمين وانفاقنا معهم عامل قوة للإسلام إذا ما تحول إلى قوة إيجابية ورسالة مهمة لأعدائنا، وهذا هو المطلوب وممكن، بل واجب ديني واستراتيجي.

ثالثاً: أدعو السعودية إلى رعاية حوار يجمع كافة الأحزاب والتيارات الدينية في العالم العربي، بما في ذلك الإخوان والقاعدة لكي يجتمعوا على كلمة سواء، بدلاً من تبرير هذه القدرات وتوظيفها حيث يجب أن تكون. إذا كانوا يريدون رفع راية المسلمين وتوحيد كلمتهم.

أخيراً: لقد انشقنا بعيداً وبددنا أحلام هذه الأمة في مستقبل مشرق ما لم نبادر في إعادة القراءة للواقع بشكل علمي مدروس؛ لأن الفريضة الغائبة عن هذه الأمة هي «العلم»، فلقد سيطر الجهل على العقول وأصبحت الهوة بيننا وبين الأمم التي ارتادت المربخ تتسع ونحن نتوه في صحراء الوهم والوهن. ولذا علينا أن نشدّ الهمم ونرص الصفوف. فهذه الأمة العظيمة تستحق مكانة غير هذه، وعلى أبنائها أن يتحملوا مسؤولياتهم للدفاع عنها بالوعي من الأخطار التي تهدد وجودها وتسخير طاقاتها الخلاقة بشكل إيجابي ليس بالحدق الأعمى الذي يدمر كل شيء. علينا أن لا نفقد الأمل في معالجة أمورنا بالحكمة قبل فوات الأوان وتصحيح المسار.

* سياسي ليبي

والإسلام وجهان لعملة واحدة. حالنا حال الجسد المريض حيث تظهر الفيروسات لتفتك به مهما كانت صغيرة، ستظهر دبابات لم نعد نسمع بها، وكذلك إثنيات منقرضة وستنقض أمم حولنا لتقصر أطرافنا بعد سبحة ومليلة، وأم الرشراش، والإسكندرونة.

السؤال: هل نحن مجرمون في حق أنفسنا لهذا الحد، أم وصل بنا الغباء مداه؟ هل نحن صم بكم عمي؟ لا نسمع الطائرات ولا نرى الأساطيل ونردد آيات الله ونتمسح بها على الجانبين، وكل منا يكبر على الآخر ليذبحه لا ليهديه؛ ثم ما هي النتيجة؟ سيقول الغاؤون إن الثورة الفرنسية أخذت مئة عام، وسيقول آخر يكفي أننا أسقطنا الطغاة... وغيرها من حالات الإنكار للتكفير عن السيئات. للأسف فالواقع يقول غير ذلك، ولكل عصر أدواته ووسائله. ما نراه أننا تركنا الأهداف وتحولنا إلى صراع على سلطة غير موجودة وأوطان مدمرة وجهاد غير مقدس. وأصبحنا جميعاً ضحايا باحثين عن أمل ومعجزة تأتي بالحرية والكرامة، أو خلافة عاشت في داخلنا نستدعيها بوسائل عصر غير العصر. أكيد نريد استيقاظ الأمة وبعث الحياة فيها، وهذا يحتاج أن نوحّد قدرات الأمة ونجمع

ما يحدث. رغم شرعيته. يجعلنا نعيد القراءة لأن نستمر في هذا التيه في صحراء الوهم

شتماتها ونقتحم بها العصر، وأن يصبح الشيعة والسنة في خندق واحد، وأن كل الاجتهادات التي يقدمها أكثر من 70 تنظيماً دينياً سلمياً أو متطرفاً تجمع خيرة شبابنا منبعضها واحد. وليس من الإسلام في شيء أن تتحول إلى جهاد وهمي؛ فلتك معركة في غير محلها، وهستيريا يجب أن تتوقف لتوظف بشكل مختلف تماماً. المدهش أن بعض الأنظمة العربية تدعم وتغذي هذا الصراع الدامي، ومعارك الدين الوافد، وتدافع عن الديمقراطية، وحقوق الإنسان التي لا وجود لها عندهم، وهي تعرف أنها تنتظر دورها في الذبح، وتساهم بسخاء في الحرب النفسية الموجهة والمدروسة لمصلحة العدو. لماذا نبذل طاقات الأمة، وهل أولوياتنا تصبح كأولويات ملوك الطوائف بعد سقوط الأندلس... ومن هو

وأشوريا وكلدانيا... ويعلم الله كيف ستكون سوريا غداً. باختصار، لقد انجرقنا شعوباً ودولاً طوعاً وكرهاً، وقدمنا خيرة شبابنا لمعركة الهدم، التي لا معنى لها سوى التمهيد لمعركة «هرمجدون» على ما يبدو. إن في الصمت ناراً وفي الكلام ناراً. فعوامل القوة أصبحت عوامل دمار. أقول: لقد نجحت القوى المعادية للأمة في استخدام الجيل الرابع من الحروب، وهي حرب تحقق أهدافها دون أية خسائر. فنحن قادتها ووقودها نمولها وتسحقنا... تدمير ذاتي في معارك داحس والغبراء، وعلى شباب هذه الأمة أن يعي جيداً للتصدي له، لأنه إذا استمر ذلك فلن يصبح للعرب في شمال أفريقيا مكان، وستعرض الجزيرة العربية للتقسيم والاحتلال، ولن يكون للإسلام دعوة ولا سيف؛ فالعروبة

الصراع يأخذ منحني خطيراً يهدد بقاء الأمة وتدميرها... وتجاوز إسقاط أنظمة، بل هي الفوضى الخلاقة التي بشرتنا بها كوندوليزا رايس، والتي لن تبني أمة، وخصوصاً إن هناك أكثر من ألف علامة استفهام على رموزها وداعميها وأساليبهم البهلوانية، وشعاراتهم وروحهم التي تشع حقداً وأستهم تقطر سماً. وكل ذلك لا يبني مستقبلاً مزدهراً، بل العكس، وهذا مصدر القلق والتعجب، وحول الحلم إلى كابوس. كذلك ليس صدفة أن يتحول الإسلام إلى معسكرات سنة وشيعة والقيادة في طهران وإسطنبول ونحن ميدان لهذا الصراع الوهمي ويصبح العدو الإسرائيلي حليفاً والسلفية تتأرجح بينها وبين القاعدة. وسط ذلك كله تبحث عن مكان بعيد عن واشنطن ونيويورك. ويصبح العراق العربي بابلياً



الصراع يأخذ منحني خطيراً يهدد بقاء الأمة وتجاوز إسقاط أنظمة (أ ف ب)

لاوكة هرة يتحول الكونغرس الأميركي إلى بديك عملي وشبه رسمي للأمم المتحدة

يعتمد على الانتقائية لتوجيه ضربة أياً كان المبرر أو السبب في هذه الفترة بالذات وليس قبلها لتحقيق هدف سياسي هو تعديل الوضع على الأرض وترجيح كفة حلفائهم في المعارضة السورية المسلحة. والثاني، هو استهانتهم إن لم نقل إهانتهم لعذابات السوريين ودمائهم التي تسفك منذ سنتين ونصف سنة بأسلحة النظام وأسلحة حلفائهم على حد سواء. إن الموقف المركب من الوضع السوري عموماً، ولكي يكون متساقفاً مع التاريخ والعدالة وحقوق الإنسان ينبغي أن يبدأ من إدانة العدوان الغربي العسكري الوشيك على سوريا واعتباره عملاً إجرامياً سيؤدي إلى إطالة أمد الحرب واستمرار عذابات الشعب السوري، وقد يفتح الباب على احتمالات تقسيم وتدمير سوريا مزيداً من الدمار. ولكن لا ينبغي الاكتفاء بتسجيل هذه الإدانة، إنما ينبغي ربطها بإدانة نظام الحكم بسوريا وبمعارضيه المسلحين لمسؤولية الطرفين المباشرة عن وصول الوضع

الغوة الشرقية. وهنا فهما يكرران أن لديهما أدلة قاطعة على أن النظام السوري متورط في ارتكاب المجزرة، ولكن أدلة قاطعة لم تقدم حتى الآن، بما يعني أن أوباما وهولاند يريدان دُفعة من الدماء السورية على الحساب وعلى اعتبار الثقة العمياء بشرفهما وصدقتهما الشخصية؛ إنهما هنا يستبقان عمل لجنة تحقيق الأمم المتحدة فتارة يصادران حقها في الوصول إلى استنتاجات وتحديدات للجهة الفاعلة، وأخرى يفرغان عملها من أي مضمون بالترويج لتقارير سرية قبل علناً بأن مصدرها المخابرات الإسرائيلية. إن إصرار الولايات المتحدة وحلفائها على أن عمل لجنة التحقيق الأمامية يقتصر على التحقق من أن استعمالاً للسلاح الكيميائي قد حدث، وهذا هراء محض. فلا أحد يشك في ذلك تقريباً، ولكن الأهم هو معرفة الطرف الذي ارتكب الجريمة. إن ما نقوله هنا ليس دفاعاً عن النظام الحكم في سوريا؛ فقد أسلفنا الإشارة إلى أن الثقة معدومة بجميع أطراف الصراع في سوريا، ولكنه فضح لأساسيات منطق العدوان وكشف ملامساته وتدليساته. إن اهتمام الولايات المتحدة وحلفائها بما حدث في غوطة دمشق فقط مع اعتراف الجميع بأن مجازر أخرى قد ارتكبت بالأسلحة الكيميائية ومجازر أفضح ارتكبت بأسلحة أخرى طوال فترة الحرب الأهلية، وخصوصاً في قرى ريف اللاذقية، يعني ضمن ما يعني أمرين: الأول، هو أن منطق العدوان

وبغض النظر عن هويتهم السياسية، سواء كانوا في النظام الحاكم أو المعارضة المسلحة، مجرمي حرب ينبغي محاسبتهم ومقاضاتهم أمام الشعب السوري وشعوب العالم. منذ العدوان على العراق وغزوه وتدمير دولته، وليس إسقاط نظام الحكم فيه فقط كما يركز البعض، وغرس نظام حكم رجعي ومتخلف وفساد فيه، بدلاً للحكم الديكتاتوري الدموي والمتخلف هو الآخر، وهذا «المنطق» اللاعقلاني يتكرر، وما هم أهله يقدمونه اليوم بنسخة سورية لا تكاد تختلف إلا في تفاصيل هامشية وصغيرة عن النسخة العراقية، والمستهدف في كلتا النسختين هو الإنسان أولاً، العقل النقدي والحق في بناء موقف مركب وبناء يرفض المصادرة والقسر والابتزاز الفكري ثانياً. لقد سئمنا المواقف الخطية والتبسيطية التي تختصر الصراع والواقع التاريخي والمأسوي في مواقف «مأنوية» لا تخرج عن خيارين كالأهمل فقط وعدواني وغير عقلاني؛ يطالب الخيار الأول بإدانة العدوان على سوريا والوقوف في خندق النظام الديكتاتوري دون قيد أو شرط، فيما يشترط الخيار الثاني الذي لا يقل عنه الأول سطحية وبؤساً تأييد العدوان قبل كل شيء والترجيح ببديل للحكم مشكوك فيه، لفرصة لاحقاً على الشعب السوري فرضاً. تتعكز منظومة حجج الإدارتين الأميركية والفرنسية بوصفهما الدولتين الأكثر هوساً وإصراراً على القيام بالعدوان على مجزرة

إلى ما وصل إليه. أما الجزء الأخير، الذي لا يقل أهمية عن تسجيل الإدانات، فهو المتعلق بالإلحاح على ضرورة الحل السياسي للأزمة السورية كحل وإنهاء القتال والبدء بحوار ورفع الغطاء السياسي عن أي طرف يرفض الحل السياسي ويريد مواصلة سفك الدماء كما أسلفنا. إن موقفاً مركباً كهذا ينبغي له أن يسود في خطاب الرافضين للعدوان أو التخندق مع النظام الحاكم فلن يختلف عن التخندق مع المعارضة المسلحة وعموم معسكر «الحربجية» المؤيدين للعدوان الغربي. إن دروس العدوان على العراق واحتلاله وتدميره وسفك دماء شعبه، الذي لم يتوقف طوال عقد من الزمن ولا يزال مستمراً حتى الآن، تؤكد صحة مغزى هذا الموقف المركب وعطل ولا منطقية الموقف التبسيطي المانوي القائم الذي يلخصه شعار:

إما أسود أو أبيض؛ وأخيراً، إن أمراً جديداً وخطيراً قد حدث على الصعيد العالمي، فالأول مرة يتحول الكونغرس الأميركي بغرفتيه إلى بديل عملي وشبه رسمي للأمم المتحدة بموافقة أغلب الأطراف ورضاهم؛ وأصبح قرار القيام بالعدوان العسكري على سوريا من عدمه بيد الكونغرس الأميركي، وهذا إنجاز جديد ينبغي تسجيله باسم لأوباما، ولم يبق أمام جميع الذين يحبسون أنفاسهم الآن بانتظار قرار الكونغرس سوى إهالة حفنة التراب على ضريح الأمم المتحدة؛ * كاتب عراقي